المبحث الثالث

إمرار صفات الله ﷻ كما جاءت بلا كيف

أجمع السَّلفُ الصَّالح أهل السُّنة والأثر على إثبات صِفات الرَّبِّ ﷻ وإمرارها كما جاءت، من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ، على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: ١١].

وأما قول السَّلف: (أمروها بلا كيف)، فمعناه كما قال **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ في «اجتماع الجيوش» (ص١٩٩): (مُراد السَّلفِ بقولهم: (بلا كيف)، هو نفي التَّأويل؛ فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل؛ فإنهم هم الذين يُثبتون كيفيةً تُخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التّكييف بالتأويل، وتعطيل الرَّبِّ تعالى عن صفتِهِ التي أثبتها لنفسه. وأما أهل الإثباتِ فليس أحدٌ منهم يُكيف ما أثبته الله لنفسِهِ).

ونُصوص السَّلف الصَّالح وأئمة أهل السُّنة والجماعة في الأمرِ بإمرارِ الصِّفات كما جاءت كثيرة جدًّا، ومنها:

١ ـ قال **الأوزاعي** (١٥٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (كُنا والتَّابعون مُتوافرون نقول: إن الله تعالى فوق عرشِهِ، ونؤمن بما وردت به السُّنة من صِفاتِهِ جل وعلا).

[رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٥). وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحموية» (ص٣٠٤): إسناده صحيح، وقال: إنّما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمر جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنَّافي لصفاته، ليعرف النّاس أن مذهب السَّلف خلاف ذلك]

٢ قال **الوليد بن مُسلم** (١٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (سألت الأوزاعي (١٥٧هـ)، ومالك بن أنس (١٧٩هـ)، وسُفيان الثوري (١٦١هـ)، واللّيث ابن سعد (١٧٥هـ) عن هذه الأخبار التي فيها الصِّفات، فقالوا: أمرُّوها كما جاءت).

[رواه الآجري في «الشريعة» (٧٢٠)، والدارقطني في «الصفات» (٦٧)]

قال **يحيى بن عمار** (٤٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهؤلاء أئمّة الأمصارِ: فمالك إمام أهل الحجاز، والثوري إمام أهل العراق، والأوزاعي إمامُ أهل الشَّام، والليث إمامُ أهلِ مصر والمغرب).

[رواه ابن قدامة في «ذم التأويل» (٢٥)]

٣ عن **جعفر بن عبد الله** قال: (جاء رَجُلٌ إلى مالك بن أنس (١٧٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ يسأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قال: فما رأيته وجد من شيءٍ كوجْدِه من مَقالتِهِ، وعلاه الرُّحَضاء ـ يعني: العرق ـ وأطرقَ، وجعلنا ننظر ما يأمر به فيه، ثُم سُرِّي عن مالك فقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسُّؤال عنه بدعةٌ، وإني لأخاف أن تكون ضالاً. ثُمّ أَمَرَ به فأُخرِجَ).

[رواه الدارمي في «الردّ على الجهمية» (١٠٤)، والصابوني في «عقيدة أصحاب الحديث» (٢٤و٢٥و٢٦)]

٤ قال **وكيع** (١٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (نُسلِّم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول كيف هذا؟ ولم جاء هذا؟).

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٦٢)]

٥ قال **يحيى بن معين** (٢٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (شهِدتُ زكريّا بن عدي يَسألُ وكيع بن الجراح (١٩٧هـ)، فقال: يا أبا سُفيان، هذه الأحاديث ـ يعني: مثل: «**الكُرسي موضع القدمين**»، ونحو هذا ـ.

فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد، وسُفيان الثَّوري، ومِسعرًا، يُحدِّثون بهذه الأحاديث ولا يُفسِّرون شيئًا).

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٥٨)]

٦ قال **سُفيان بن عُيينة** (١٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (كُلُّ شيءٍ وصف الله به نفسه في القرآنِ فقراءته تفسيره، لا كيف، ولا مِثل).

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٦١)، واللالكائي (٧٣٦)]

٧ قال **أحمد بن نصر**: (سألتُ سُفيان بن عُيينة (١٩٨هـ) وأنا معه في منزلِهِ بعد العتمة، فجعلت أُلِحُّ عليه في المسألة.

فقال: دعني أتنفَّس.

فقلت له: يا أبا محمد؛ إني أُريد أن أسألك عن شيءٍ. فقال: لا تسأل.

فقلت: لابُدَّ من أن أسألك، إذا لم أسألك فمن أسأل؟!

فقال: هَات، سَل.

فقلت: كيف حديث عَبيدة عن عبد الله عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله يَحملُ السَّمواتِ على إِصْبَعٍ، والأرضين على إِصْبعٍ**»، وحديث: «**إنَّ قلوبَ بني آدم بين إصبعين من أَصَابِعِ الرحمن**»، وحديث: «**إن الله ﷻ يعجبُ ـ أو يضحك ـ ممن ذكرَهُ في الأسواق**».

فقال سفيان: هي كما جاءت، نُقرُّ بها، ونُحدِّثُ بها؛ بلا كيف).

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٦٣)، و«العلو» للذهبي (٣٨٤)]

٨ رَوى يزيد بن هارون (٢٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في مجلسه حديث: إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الرُّؤية، وقول النبي ﷺ: «**إنَّكم تنظُرُونَ إلى ربِّكم كما تَنظُرُون إلى القمرِ ليلة البدرِ**».

فقال له رَجُلٌ في مجلسهِ: يا أبا خالد! ما معنى هذا الحديث؟!

فغضب، وحَرَدَ، وقال: ما أشبهك بصَبيغ، وأحوجك إلى مثل ما فُعِلَ به، ويلك! ومن يدري كيف هذا؟

ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث، أو يتكلّم فيه بشيءٍ من تلقاء نفسه إلَّا من سَفِهَ نفسه، واستخف بدينه ؟

إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتَّبعوه، ولا تبتدعوا فيه، فإنكم إن تبعتموه، ولم تماروا فيه سَلِمْتم، وإن لم تفعلوا هلكتم.

[رواه الصابوني في «عقيدته» (٨٢)، و(الحَرَدُ): الغضب. «الصحاح» (ص٢٢٢)]

قلت: المراد بالمعنى الذي يسأل عنه الرَّجل هو كيفية الصِّفة، ولهذا غضب يزيد بن هارون رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: ويلك! ومن يدري كيف هذا ؟

وأمّا معنى النّظر؛ فظاهرٌ عند أهل السُّنّة لا يحتاج إلى سُؤال. والله أعلم.

٩ ـــ قال **الحُميدي** (٢١٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه [«أصول السُّنّة» (٦)]: (أصول السُّنّة عندنا ـ فذكر أشياء ـ ثُمّ قال: وما نطق به القرآن والحديث مثل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، ومثل قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، وما أشبهه من القرآن والحديث، لا نزيد فيه، ولا نُفسِّره، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسُّنة ونقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ومن زعم غير هذا؛ فهو مُبطلٌ جهميٌّ.

وقال: وذكر حديث: «**إنَّ الله خلقَ آدمَ**»، يعني: بيديه. فقال: لا نقول غير هذا على التَّسليم والرِّضا بما جاء به القرآن والحديث، لا نستوحش أن نقول كما قال القرآن والحديث).

[رواه ابن منده في «التوحيد» (٩٠٣)]

١٠ ـــ قال **أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام** (٢٢٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكر الباب الذي يُروى في «الرُّؤية»، «والكُرسي موضع القدمين»، «**وضَحِكَ رَبُّنا مِن قُنوطِ عباده، وقُربِ غِيَرِهِ**»، «**وأين كان ربُّنا قبل أن يخلق السَّماء ؟**»،

«**وإنَّ جهنمَ لا تَمتلئ حتَّى يَضعَ ربُّك** ﷻ **قدَمَهُ فيها فتقول: قَطْ قَطْ**»، وأشباه هذه الأحاديث.

فقال: (هذه الأحاديث صِحاحٌ، حملها أصحاب الحديث والفُقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حقٌّ لا نشُك فيها؛ ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضَحِك؟

قلنا: لا يُفَسَّرُ هذا، ولا سمعنا أحدًا يُفسِّره).

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٥٧)]

قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحموية» (ص٣٣٣ـ٣٣٥): (رواه البيهقي وغيره بأسانيد صحيحة عن أبي عُبيد القاسم بن سلَّام .. أحد الأئمة الأربعة الذين هم: الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو عُبيد، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يُوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر: أنّه ما أدرك أحدًا مِن العلماء يُفسّرها. أي: تفسير الجهمية).

قلت: وكذلك يُحمل نهيُ من تقدّم من الأئمة عن تفسير نُصوص الصِّفات، أي: بتفسيراتِ وتأويلاتِ الجهمية، وسَيأتي تصريحهم بأن لنُصوصِ الصِّفات معاني معلومة تُفسَّر بها النُّصوص على مُقتضى لُغة العرب التي خاطبنا الله تعالى بها، لا أنّها مجهولة المعنى، كما تقوله المفوِّضة.

١١ ـ قال **أبو طالب**: سمعت أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) سُئِلَ عن حديث هِشام بن عمار أنه قرأ عليه حديث: «**تجيء الرَّحمُ يومَ القيامةِ فتتعلق بالرَّحمن**» فقال: أخاف أن تكون قد كفرت.

فقال: هذا شامي، ما له ولهذا؟ قلت: ما تقول أنت؟

قال: يمضي الحديث على ما جاء.

[«إبطال التأويلات» (ص٢١٨)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٦/٢٠٩)]

١٢ ـ وقال المرُّوذيّ سألتُ: أبا عبد الله: «يَضَعُ قَدَمَهُ»؟

فقال: نُمِرُّها كما جاءت.

[«الإبانة» لابن بطة (٣/٣٣١)]

١٣ ـ قال إسحاق بن راهُويه (٢٣٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال لي عبد الله ابن طاهر: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي تَروونها في النُّزول، ما هي؟!

قال: قلتُ: أيها الأمير! هذه الأحاديث جاءت مجيء الأحكام، الحلال والحرام، ونقلها العُلماء، ولا يجوز أن تُردّ، هي كما جاءت بلا كيف.

فقال عبد الله بن طاهر: صدقتَ، ما كنت أعرف وجوهها حتّى الآن.

وفي رواية: قال: رواها مَن روى الطَّهارة، والغُسل، والصَّلاة، والأحكام، وذكر أشياء، فإن يكونوا مع هذه عُدولًا، وإلَّا فقد ارتفعت الأحكام، وبطل الشَّرع. فقال: شَفاكَ الله كما شفيتني ـ أو كما قال ـ).

[«بيان تلبيس الجهمية» (١/٤٣٩)]

١٤ ـ عن أبي زُرعة الرَّازيّ (٢٦٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه لما سُئِلَ عن تفسير قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقال: (تفسيره كما يُقرأ، هو على العرش، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله).

[«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/٥٠)]

١٥ ـ قال أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيبانيّ (٢٨٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (جميع ما في كِتابنا «كتاب السُّنة الكبير» الذي فيه الأبواب من الأخبار التي ذكرنا أنها تُوجب العلم؛ فنحن نؤمنُ بها لصحتها، وعَدالة ناقليها، ويجب التّسليم لها على ظاهرها، وترك تكلّف الكلام في كيفيتها).

ثم ذكرَ مِن ذلك النزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش.

[«العلو للعلي الغفار» للذهبي (١/١٩٧)]

١٦ ـ قال ابن خُزيمة (٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ الأخبارَ في صفاتِ الله موافقةٌ لكتابِ الله تعالى، نقلَها الخلفُ عن السَّلف، قرنًا بعد قرنٍ من لَدُنِ الصَّحابة والتّابعين إلى عصرنا هذا على سَبيل الصِّفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به، والتَّسليم لِما أخبر الله تعالى في تنزيله ونبيُّه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتنابِ التأويلِ والجحودِ وتركِ التّمثيلِ والتكييفِ).

[«ذم التأويل» لابن قدامة (٢٠)]

١٧ ـ قال ابن بطة العُكبري (٣٨٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة» (٣/٢٤٤): (كل ما جاء من هذه الأحاديث وصحّت عن رسول الله ﷺ؛ ففرضٌ على المسلمين قَبولُها، والتّصديقُ بها، والتّسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها وصدَّق بها أن لا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمّل لها المعاني والتفاسير؛ لكن تُمرّ على ما جاءت، ولا يُقال فيها: لِمَ؟ ولا: كيف؟ إيمانًا بها وتصديقًا، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى نبينا ﷺ، بلا مُعارضةٍ، ولا تكذيبٍ، ولا تنقيرٍ، ولا تفتيشٍ، والله الموفق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآنَ وأصلَ الشَّريعة، فالطَّعنُ عليهم والرَّد لما نقلوه من هذه الأحاديث طعن في الدِّين، وردٌّ لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك فالله حسيبه، والمنتقم منه بما هو أهله).

١٨ ـ قال محمد بن إسحاق بن منده (٣٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «التوحيد» (٣/٧): (إن الأخبار في صفات الله ﷻ جاءت متواترة عن نبي الله ﷺ موافقةً لكتاب الله ﷻ، نقلها الخلف عن السلف قرنًا بعد قرن من لدُن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا؛ على سبيل إثبات الصفات لله ﷻ، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله ﷻ به في تنزيله، وبيَّنه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف).

١٩ ـ قال التيمي الأصبهاني (٥٣٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحُجة في بيان المحجة» (١/١٢٨): (الكلام في صفات الله عَزَّ وَجَلَّ ما جاء منها في كتاب الله، أو رُوِي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ فمذهبُ السلفِ ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ: إثباتها، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، وقد نفاها قومٌ فأبطلوا ما أثبته الله، وذهب قومٌ من المثبتين إلى البحث عن التّكييف. والطّريقة المحمودة: هي الطّريقة المتوسطة بين الأمرين؛ وهذا لأن الكلام في الصّفات فرع على الكلام في الذَّات، وإثبات الذَّات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات، وإنما أثبتناها لأن التَّوقيفَ وَرَدَ بها، وعلى هذا مضى السَّلف).

❑ ❑ ❑